معارف ولطائف

خالد الخراز

الاعتراف بالفضل

الاعتراف بالفضل هو ان يقر الإنسان بإحسان الآخرين اليه، لأن الفضل هو الإحسان، والجحود هو انكار ذلك الإحسان، وقد ورد في هذا المعنى آيات كثيرة منها:
قول الله تعالى في الحياة الزوجية: (ولا تنسوا الفضل بينكم) ـ البقر: 237، أي: الإحسان والمعروف، يعني: لا تهملوه بل استعملوه بينكم، اي افضال بعضكم على بعض بإعطاء الرجل تمام الصداق، أو ترك المرأة نصيبها، وفي الآية حث الزوجين على الإحسان (ان الله بما تعملون بصير)، أي: لا يخفى عليه شيء من أموركم واحوالكم، وسيجزي كل عامل بعمله.
قال العلامة السعدي: الإنسان لا ينبغي ان يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين:
1 ـ اما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب وإعطاء الواجب.
2 ـ واما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض عما في النفس.
فلا ينبغي للإنسان ان ينسى هذه الدرجة ولو في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهذا قال: (ان الله بما تعملون بصير).
ومن نظائر الاعتراف بالفضل في القرآن الكريم قول الله تعالى: (ان الله لذو فضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ـ البقرة: 243.
وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» رواه أبوداود (4811) بسند صحيح.
ولا شك ان الله ـ عز وجل ـ هو صاحب الفضل في الأولى والآخرة، اذ هو المتفضل على أهل الدنيا مسلمهم وكافرهم بنعمه التي لا تحصى، وفي الآخرة يدخل عباده الصالحين الجنة ويورثهم دار المقامة من فضله.
وللاعتراف بالفضل منزلة جليلة بين مكارم الأخلاق لما يعود منها من خير على المجتمع بأسره، حيث يؤدي ذلك الى استقراره، وتآلف أفراده، وتشجيع ذوي الفضل على ان يستمروا في تفضلهم الذي يلقى الاعتراف من الآخرين، ولما كان من طبع الإنسان ان يفرح اذا نسب اليه الخير، ووجه اليه الشكر، كان الاعتراف بالفضل محفزا له على فعل المزيد من الخير، ولا ضير في الاعتراف بالفضل، وشكر صاحبه، لأن من يشكر الناس فإنما هو في الحقيقة يشكر الله سبحانه الذي أجرى الخير على يدي هذا وغيره من المحسنين، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله» رواه الترمذي (1954) بسند صحيح.
ويفهم من ذلك ان من يشكر الناس فإنما يشكر الله ـ عز وجل ـ ايضا، والشكر له يزيد في النعمة ويورث الرضا. قال الناظم:
وزهدني في كل خير صنعته
الى الناس ما جربت من قلة الشكر
وقال الآخر:
ومن يشكر المخلوق يشكر لربه
ومن يكفر المخلوق فهو كفور
وان من نعم الله تعالى على عباده: ان فطرهم على الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، والنفوس الكريمة تقبل الى من يسدي اليها المعروف ويعترف بفضلها.
قال أبوحاتم البستي ـ رحمه الله تعالى ـ الواجب على المرء ان يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته، ان قدر فبالضعف، وإلا فبالمثل والا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر، وقوله: جزاك الله خيرا.
وقال كذلك: اني لأستحب للمرء ان يلزم الشكر للصنائع، والسعي فيها من غير قضائها، والاهتمام بالصنائع، لأن الاهتمام ربما فاق المعروف، وزاد على فعل الإحسان، اذ المعروف يعمله المرء لنفسه والاحسان يصطنعه الى الناس، وهو غير مهتم به ولا مشفق عليه وربما فعله الانسان، وهو كاره والاهتمام لا يكون الا من فرط عناية، وفضل ود، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره المعروف.

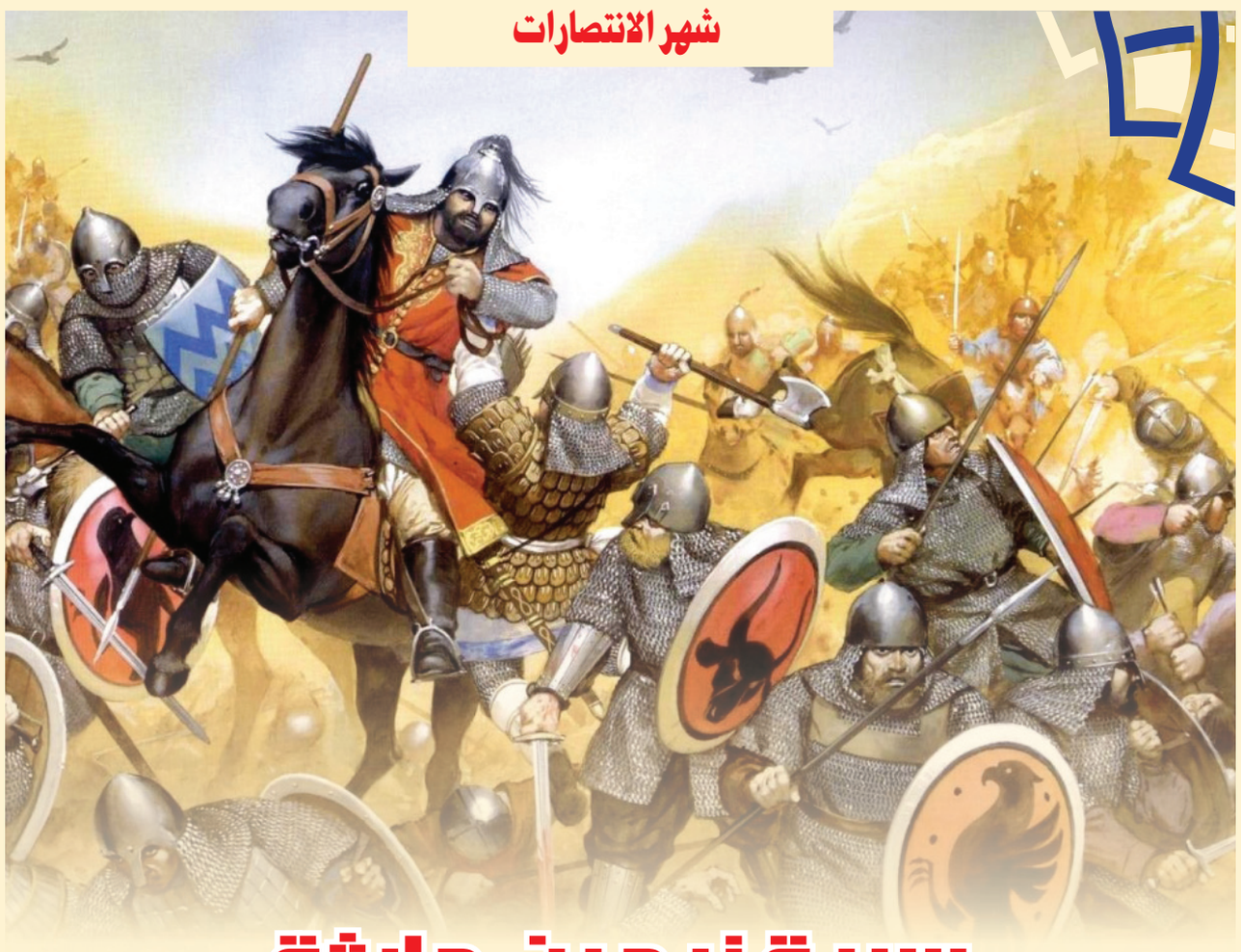

شهر الانتصارات

سرية زيد بن حارثة

قائد سرية أم قرفة بوادي القرى:
بعث النبي ﷺ زيدا على رأس سرية إلى أم قرفة بوادي القرى على سبع ليال من المدينة، في شهر رمضان من السنة السادسة الهجرية، وهي من فزارة من بني بدر.
وخرج المسلمون من المدينة، يكمنون النهار ويسيرون الليل، وخرج بهم دليل لهم. ونذرت بهم بنو بدر من فزارة، فكانوا يجعلون ناطورا لهم حين يصبحون، فينظر على جبل لهم مشرف وجه الطريق الذي يرون أنهم يأتون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول: ارحلوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم.
فلما كان زيد وأصحابه على مسيرة ليلة، أخطأ بهم دليلهم الطريق، فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوا وهم على خطأ. وعرفوا خطأهم، ثم صمدوا لهم في الليل حتى صبحوهم، وكان زيد نهاهم عن المطاردة، ثم أمرهم ألا يتفرقوا، وقال: «إذا كبرت فكبروا»، ثم أحاط بفزارة في بيوتهم، كبر وكبروا، فخرج مسلمة بن الأكوع، فطلب رجلا منهم حتى قتله، وأخذ جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وجدها في بيت من بيوتهم، وهي ابنة أم قرفة، واسم أم قرفة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كما أخذوا أم قرفة فقتلها قيس بن المحسر، وقتل النعمان وعبيد الله ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر.
وكانت العرب تقول: «لو كنت أعز من أم قرفة»، لأنها كانت يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو محرم.
وعاد زيد إلى المدينة، فقرع باب النبي ﷺ، فخرج إليه مسرعا واعتنقه وقبله، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه.
أما جارية ابنة أم قرفة، فقد وهبها سلمة بن الأكوع لرسول الله ﷺ، فوهبها لحزن بن أبي وهب خال النبي ﷺ، فولدت له امرأة ليس له منها ولد غيرها.
وهكذا أخذ زيد بثأر المسلمين الذين قتلتهم فزارة، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة، ولقن فزارة درسا لا ينسونه أبدا، كما لقن غيرها من القبائل مثل هذا الدرس.

رمضانيات

همسات رمضانية

د.وليد العلي
إمام وخطيب المسجد الكبير

إن من تأمل فساد أحوال العالم ـ عموما وخصوصا ـ وجد منشأ هذا الفساد عن أصلين: الأصل الأول: الغفلة، فغفلة القلب تحول بين العبد وبين تصور الحق ومعرفته والعلم به، وعاقبة هذه الغفلة أن يكون صاحبها من الضالين.
الأصل الثاني: الهوى، فهوى الجوارح يصد عن قصد الحق وإرادته واتباعه، وعاقبة هذا الهوى أن يكون صاحبه من المغضوب عليهم.
ومن أنعم الله تعالى عليهم: فهم الذين منّ الله تعالى عليهم بمعرفة الحق علما، والانقياد إليه وإيثاره على ما سواه عملا، وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة، ومن سواهم على سبيل الهلاك، ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نقول كل يوم وليلة عدة مرات: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).
وإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشه ومعاده، وأن يكون مؤثرا مريدا لما ينفعه، مجتنبا لما يضره، فبمجموع هذين يكون قد هدي إلى الصراط المستقيم، فإن فاته معرفة ذلك سلك سبيل الضالين، وإن فاته قصده واتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم، وبهذا يعرف قدر هذا الدعاء العظيم، وشدة الحاجة إليه، وتوقف سعادة العبد في الدنيا والآخرة عليه.
فالعبد مفتقر إلى الهداية في كل لحظة ونفس في جميع ما يأتيه ويذره، فإنه بين أمور لا ينفك عنها، فهو محتاج إلى هداية الصواب فيها، وأمور يعتقد أنه فيها على هدى وهو على ضلالة ولا يشعر، فهو محتاج إلى انتقاله عنها بهداية من الله، وأمور قد فعلها على وجه الهداية، وهو محتاج إلى أن يهدي غيره إليها ويرشده وينصحه، لأن الهداية للغير وتعليمه ونصحه يفتح للهادي المعلم الناصح باب الهداية، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن هدى غيره وعلمه: هداه الله وعلمه، فيصير هاديا مهديا، كما في دعاء النبي ﷺ: «اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين».
وإن الله سبحانه وتعالى قد أثنى على عباده المؤمنين الذين يسألونه أن يجعلهم أئمة يهتدى بهم، فقال تعالى في وصف عباده: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما).
فسألوا ربهم تبارك وتعالى: أن يجعلهم مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم، لأنه لا يكون الرجل إماما للمتقين: حتى يأتم هو بالمتقين، فهذا هو الوجه الذي ينالون به هذا المقصد المطلوب، وهو اقتداؤهم بالمتقين من قبلهم، فيجعلهم الله تعالى أئمة للمتقين من بعدهم.
والله سبحانه وتعالى قد أخبر بأن الإمامة في الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فقال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).
فالصبر الذي هو أحد الأسباب وأولها لبلوغ رتبة الإمامة في الدين، إنما يكون بتحقيق ثلاثة أمور: الأمر الأول: الصبر على أداء فرائض الله تعالى.
الأمر الثاني: الصبر عن اجتناب محارم الله تعالى.
الأمر الثالث: الصبر على قضاء وقدر الله تعالى.
وأما اليقين الذي هو ثاني الأسباب الذي تنال به رتبة الإمامة في الدين، فإنما يكون بالتصديق بالأخبار التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، تصديقا لا يخالطه ريب ولا شك.
فمن جمع بين الصبر واليقين، فقد ظفر بنيل الإمامة في الدين، ومن فقدهما أو أحدهما، فقد سلب هذه الإمامة.

من روائع الخط العربي

وإذا حكمتم

(بين الناس أن تحكموا بالعدل)

هذه الآيات الكريمة كتبها بقلم الثلث الخطاط حقي، ولد في إسطنبول سنة 1290هـ وتوفي فيها سنة 1365هـ، وبرع في رسم الطغراء وكتب عدة مقالات عن الخطاطين في مجلات تركية حلل فيها مقدرتهم الفنية.